



الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله
نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن من تأمل كتاب الله ﷻ، وتدبر آياته البينات، وجد موضوعها
الأساس هو توحيد الله ﷻ، والأمر بعبادته وحده، وذكر ما أعده
الله ﷻ للموحدين من عباده من النعيم المقيم، وما أعده للمشركين
أعداء توحيده من النكال والعذاب الأليم، وضمنه ما شرعه لعباده
من الشرع الحكيم، الذي يحققون به عبادة الله ﷻ، واستسلامهم له،
وإسلامهم لحكمه. وهذا هو حقيقة دين الإسلام، الذي هو دين
الرسل جميعاً، والذين دعوا إلى إسلام الوجه لله ﷻ بعبادته وحده،
والتسليم لأمره وحكمه، حيث إن العبودية الصادقة لا تتحقق إلا
بالإسلام والتسليم والانقياد لله رب العالمين.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن مبنى العبودية والإيمان بالله
وكتبه ورسله على التسليم، وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في
الأوامر والنواهي والشرائع، ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمة صدقت
نبياها، وآمنت بما جاء به، أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به
ونهاها عنه، وبلغها عن ربها...»^(١).

(١) الصواعق المرسلة ت: علي الدخيل الله، دار العاصمة - الرياض. ١٥٦٠ / ٤.

وقال في موطن آخر: «إن الشرع مأخوذ عن الله بواسطة الرسولين، الملكي والبشري بينه وبين عبادته، مؤيداً بشهادات الآيات وظهور البراهين على ما يوجهه العقل ويقتضيه تارة، ويستحسنه تارة، ويجوزه تارة، ويكع عن دركه تارة، ولا سبيل له إلى الاحاطة به، ولا بد له من التسليم والانقياد لحكمه والإذعان والقبول، وهناك يسقط (لم) ويبطل (كيف) ويزول (هلا) ويذهب (لو) و(ليت) في الريح، لأن هذه المواد عن الوحي محبوسة، واعتراض المعارض عليه مردود، واقتراح المقترح ما يظن أنه أولى منه سفه وجهل. فالشريعة مشتملة على أعلى أنواع الحكمة علماً وعملاً، التي لو جمعت حكم جميع الأمم ونسبت إليها لم يكن لها إليها نسبة، وهي متضمنة لأعلى المطالب بأقرب الطرق وأتم البيان، فهي متكفلة بتعريف الخليفة ربها وفاطرها المحسن إليها بأنواع الإحسان بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتعريف الطريق الموصل إلى رضاه وكرامته والداعي إليه، وتعريف حال السالكين بعد الوصول إليه، ويقابل هذه الثلاثة تعريفهم حال الداعي إلى الباطل، والطرق الموصلة إليه، وحال السالكين تلك الطرق، وإلى أين تنتهي بهم، ولهذا تقبلتها العقول الكاملة أحسن تقبل، وقابلتها بالتسليم والإذعان، واستدارت حولها بحماية حوزتها والذب عن سلطانها.

فبين ناصر باللغة السائغة، وحام بالعقل الصريح، وذاب عنه
البراهين، ومجاهد بالسيف والرمح والسنان، ومتفقه في الحلال
والحرام، ومعني بتفسير القرآن، وحافظ لمتون السنة وأسانيدها،
ومفتش عن أحوال رواتها، وناقد لصحتها من سقيمها، ومعلوها من
سليمها، فهي الشريعة، ابتداءؤها منه سبحانه، وانتهاءها إليه، فمنه
بدأت، وإليه تعود»^(١).

وقد ورد في كتاب الله ﷻ نصوص كثيرة مبينة لمعنى هذا الإسلام
والتسليم وفضل أهله، منها قوله ﷻ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ
مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]،
وقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

وقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢]، وقال عن خليله
إبراهيم إمام الحنفاء عليه السلام: ﴿وَمَنْ يَرْغُبُ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ
نَفْسَهُ، وَلَقَدْ أَصْطَفَيْتُهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ
أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَىٰ إِنَّ
اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣٢].

(١) المصدر نفسه ٣/ ٨١١.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وقد وصف الله ﷺ من امتلأ قلبه بالتسليم لله تعالى بأنه ذو (قلب سليم)، جاء ذلك في ثنائه سبحانه على خليفه إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٣ - ٨٤]، كما جاء ذلك في دعاء الخليل عليه السلام لربه بقوله: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۖ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۖ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧ - ٨٩].

ولذا قيل: «فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله ﷻ ولرسوله ﷺ»، كما قيل: «ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام»^(١).

فما هي حقيقة الإسلام والتسليم لله ﷻ؟ وما هي أوصاف القلب السليم الذي لا ينجو أحد يوم القيامة إلا من أتى الله به؟

من أجل الجواب على هذه المسائل العظيمة والقضايا المصيرية استعنت بالله ﷻ في كتابة هذه الرسالة، راجياً أن أبين فيها حقيقة الإسلام لله تعالى، وأوصاف القلب السليم، وما يترتب على ذلك من لوازم ومقتضيات وأحوال، نسأل الله ﷻ أن يرزقنا قلباً سليماً وأنفساً مطمئنة.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص ١٦٨) طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ت: أحمد شاكر، ١ ط، سنة ١٤١٨ هـ..

وكالعادة في افتتاح كل رسالة من رسائل الوقفات التربوية في ضوء القرآن الكريم استهل هذه الرسالة بذكر بعض الأمور التي دفعت إلى الكتابة في هذا الموضوع الجلل، الذي يتعلق بالغاية التي من أجلها خلق الله الإنس والجن، وعليها مدار النجاة أو الخسران يوم القيامة. ومن أهم هذه الأمور ما يلي:

الأمر الأول:

بيان معنى الإسلام الحقيقي لله تعالى، الذي بعث به الأنبياء والرسل، وجعله الغاية من خلق الثقلين، وأنه ليس مجرد الانتساب للإسلام والهوية الإسلامية، أو فعل بعض الواجبات وترك بعض المحرمات فحسب، وإنما هو إسلام النفس لله تعالى بعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص التوحيد له سبحانه، وإفراده بالمحبة والخوف والرجاء، وسلامة القلب من كل شبهة تعارض الخبر، ومن كل شهوة تعارض الشرع والأمر، ومن كل اعتراض يعارض القضاء والقدر. وبيان أن هذه هي مواصفات القلب السليم المستسلم لربه سبحانه الراجي لرضوانه، وبيان أن سلامة القلب ليست مجرد ما يفهمه كثير من الناس بأنه القلب السالم من الحقد والحسد والغل، حيث يقصرون وصفه على ذلك فحسب، بل هو أكبر وأشمل من هذا الفهم القاصر بكثير، كما سيتبين ذلك في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى.

إن بيان هذا الأصل العظيم لمن أوجب الواجبات وأهم المهمات، فعليه يقوم بناء الدين، وبه تتحقق سعادة الدنيا والآخرة. وإنه لمن أكبر المصائب على العبد أن يخرج من هذه الدنيا وهو جاهل بهذا الأصل العظيم. وما أجمل قول من قال: «ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام» (*). لذا فإن معرفة هذا الأصل والتربية عليه لمن أعظم الواجبات وأهم الضروريات، فحري بالعبد أن يتفقد هذا الأصل في نفسه وأهله وإخوانه، ويربهم على التمسك به، فإنه العاصم من الفتن بإذن الله تعالى.

الأمر الثاني:

لما ظهر في زماننا اليوم من قلة الوازع الديني، وذلك بضعف تعظيم الله ﷻ في النفوس، وضعف الخوف منه وتوقيره والحياء منه، مما كان له الأثر في الجرأة على المحرمات والاستهانة بالواجبات، والجرأة على النصوص الشرعية المحكمة، وردها وعدم تعظيمها. حيث أصبحنا نرى تطفل كثير من الكتاب والمثقفين الجاهلين بعلوم الشريعة، يتعاملون بأهوائهم مع العلم الشرعي ونصوص الكتاب والسنة كأبي علم إنساني آخر ليس لها خصوصية التعظيم والتوقير، فالكل له الحق في الخوض في القضايا الشرعية، وانتقاد المناهج الشرعية وعلماء الشريعة، بحجة أن الدين ليس حكراً على طائفة!! أو بقولهم:

(*) ذكر هذه العبارة الإمام البغوي في شرح السنة (١/ ١٧١) وعزاها إلى بعض السلف.

لا تقحموا الدين في كل شيء. وقد تأثر بطروحاتهم هذه عدد ليس بالقليل من الناس، في الوقت الذي نرى فيه هؤلاء المفتونين يعظمون أنظمة البشر الجاهلية في الدول العلمانية كما يعظمون القوانين الدولية الطاغوتية أو ما يسمونه الشرعية الدولية، وينكرون على من خالفها واستهان بها.

وكل ذلك إنما نشأ من الهوى وضعف المعرفة بالله ﷻ فاطر السموات والأرض وبمعاني أسمائه الحسنی وصفاته العليا، التي تثمر في النفوس التعظيم لله ﷻ والتسليم له وقبول شرعه والانقياد له: محبة و يقيناً وخوفاً ورجاءً وقبولاً واستسلاماً. قال الله ﷻ عن نبيه نوح عليه السلام وهو يدعو قومه ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، لذا فإن التربية على هذا الأصل وإشاعة فهمه في الأمة لمن أكبر الأسباب في قوة الإيمان والانقياد، والطمأنينة والنصر على الأعداء.

الأمر الثالث:

ما ظهر في زماننا اليوم من ثورة هائلة في وسائل الإعلام والتواصل والاتصالات، واستخدام هذه الوسائل من قبل أعداء هذا الدين، من كفار ومنافقين في إثارة الشبهات والشكوك والاعتراضات، على ثوابت هذا الدين وأصوله وأحكامه، فتأسست من أجل ذلك مواقع إلكترونية وقنوات فضائية ودور نشر، تمكر في

الليل والنهار، ووافقت عند بعض أبناء المسلمين قلوباً خاوية من العلم بالشرع والتقوى آلت ببعضهم إلى الحيرة والشك، عياداً بالله تعالى. فلا جرم كانت الحاجة بل الضرورة ماسة لرد الناس إلى الفهم الصحيح للإسلام، وأنه قائم على التسليم لله ﷻ رب الناس، ملك الناس، إله الناس، العليم الحكيم، اللطيف الخبير، العظيم الكبير، العلي الأعلى، الرحمن الرحيم، القوي العزيز، له الأسماء الحسنى.

يقول الدكتور فهد العجلان في كتابه المفيد (التسليم للنص الشرعي): «ويمضي المسلم المعاصر وقد تدفقت عليه أمواج الشبهات والمعارضات من كل جانب، فأصبحت تمر بين عينيه، وتطرق سمعه، وتصارع عقله، وتضغط على قلبه كل حين، تشككه في كل شيء، وتحشد عليه كل ما يزحزح يقينه وإيمانه، وتسعى لتفتح على قلبه كافة منافذ الحيرة والشكوك».

حققت مقاصدها مع فئة قليلة فارتدت على عقبيها، وأوقعت فئة ليست بالقليلة في دوامة الحيرة والاضطراب والشكوك، وأضعفت يقين فئة أخرى، واجتهدت على فئة فما زادها ذلك إلا إيماناً و يقيناً ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

فالإنسان ضعيف، عقله ناقص، ودياه خلافة، وأهواؤه مردية، والفتن في كل مكان، ولا عاصم إلا من عصمه الله، وما دام الإنسان حياً فهو معرض للبلاء، وقد كان نبينا محمد ﷺ يكثر من الدعاء: «يا

مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك»، ولما سئل عن سبب ذلك قال: «إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ»^(١). فرحماك ربنا بحال أمثالنا!

فأثار هذه المضلات والشبهات على الناس تجعل المسلم المعاصر بحاجة أعظم إلى كمال الاستمساك بأصل (التسليم لله ورسوله ﷺ)، فهو ضمان له من أي انحراف أو زيغ أو بعدٍ عن الهدى، ليبقى مستقيماً على نعمة الله عليه بهذه الهداية ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

يتفاوت المسلمون في تمسكهم بهذا الأصل حسب قوة إيمانهم وانقيادهم لله ورسوله ﷺ، فيزداد عند أناس، ويضعف لدى آخرين، وإن كانوا جميعاً يتفقون على أصل الإيمان بالله، والإيمان برسوله ﷺ، فلا يقف التمسك بهذا الأصل على مجرد التسليم بصحة كلام الله تعالى في القرآن، وبالقبول بحجية سنة النبي ﷺ، بل هو درجات ومراتب، أكمله وأعلاه تسليم صحابة رسول الله ﷺ لله ورسوله ﷺ، الناتج عن كمال إيمانهم و يقينهم بهذا الدين، وكلما زاد اليقين في قلب المسلم كمل تسليمه وانقياده لله ورسوله ﷺ»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٣٥٢٢) وقال: هذا حديث حسن. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٠٩١).

(٢) التسليم للنص الشرعي والمعارضات الفكرية المعاصرة (المقدمة ص ٥).

وهنا ينبغي التأكيد على أن رد الشبهات حول هذا الدين وأحكامه لا يكون بالوقوف عند الشبهة وردّها مجردة، وإنما يبدأ بربط القلوب بربها والاستسلام له، والتسليم لأمره وخبره وشرعه، وما لم تتمكن هذه الأحوال من القلوب فلن يجدي مناقشة الشبهات والرد عليها مجردة عن هذا الأصل العظيم. فإذا تمكن في القلوب التسليم الحق لله ﷻ، وانقادت القلوب لبارئها، وقوي يقينها بربها، واستسلمت لأخباره فكلها صدق، ولأحكامه فكلها عدل وفضل ورحمة، كما قال ﷻ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]، صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأحكام. فمتى ما اتصفت القلوب بهذا التسليم لم يكن للشبهات ولا للشهوات عليها طريق، وإن وردت فإنها ترد بهذا التسليم، وبيان حكمة الله ﷻ فيما يشرع، وما لم تبين الحكمة فيه فلقصور في العقول، وحينئذ يتلقى بالتصديق والقبول والتسليم. كما قال الراسخون في العلم: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

الأمر الرابع:

إن في طرح هذا الموضوع المهم ورد الناس إليه علاج لكثير من الأمراض العقلية والنفسية، التي كثرت في الأزمنة المتأخرة: كالقلق والحيرة والاضطراب والاكتئاب، والتي مرد كثير منها إلى

الاعتراضات التي تكون في القلوب، سواء على أخبار الله ﷺ الغيبية، أو على أحكامه الشرعية، أو على أقداره المؤلمة. ولا سبيل لعلاجها إلا بمعرفة الله ﷻ حق المعرفة، وتعظيمه وإجلاله، والتعبد له سبحانه بأسمائه الحسنى، والتسليم للخالق العليم الحكيم، الذي هو على كل شيء قدير، يعلم ولا نعلم، ويقدر ولا نقدر، وهو علام الغيوب ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المك: ١٤]، وبهذا التسليم والتفويض تحصل الراحة والسكينة والطمأنينة.

الأمر الخامس:

إن في طرح هذا الأصل العظيم (التسليم لله تعالى ورسوله ﷺ) وإشاعته في الناس على مختلف شرائحهم سيكون له الأثر الكبير بإذن الله تعالى في النفوس، وذلك بتحسينها وتخفيف أثر الشبهات وتقليل ضررها، لأن هذا المفهوم ألا وهو (التسليم) لله ﷻ أمر فطري، سرعان ما يجد المسلم نفسه تتقبله وتنقاد له، كما أنه عام التأثير، ينتفع به كل مسلم، رجلاً كان أم امرأة، صغيراً أم كبيراً، عالماً أم غير عالم. كما يتسم هذا المفهوم بأثره العميق، لأنه لا يعالج مسألة جزئية، بل يتجه إلى إصلاح عقل الإنسان وتصوره وإزالة الركام عن فطرته، وإن مما يدل على أهمية إشاعة هذا الأصل وقوة تأثيره: اشمئزاز ونفور أصحاب المناهج المنحرفة المعترضة على شرع الله ﷻ من هذا الطرح،

وإشاعته والنيل من أهله، لأن الدعوة إلى التسليم لله ﷻ تلقمهم أحجاراً، وتفسد عليهم دعوتهم واعتراضاتهم.

الأمر السادس:

ظهور أقلام وأصوات لبعض المنافقين، الذين يسمون أنفسهم بالليبراليين أو العلمانيين، ومن تأثر بهم ممن يسمون بالعصرانيين والتنويريين، تدعو إلى فصل الدين عن الحياة، وأن نصوص الوحي لم تعد صالحة لإدارة شؤون الحياة المعاصرة إلا بقراءة جديدة، ويسمى من يدعو إلى التسليم للكتاب والسنة وتحكيمهما في جميع شؤون الحياة بأصحاب الإسلام السياسي، وتكيل لهم شتى التهم المنفرة بوصفهم بالمتطرفين والإرهابيين والأصوليين.

فكان لا بد من التصدي لهذه الدعوات الخبيثة. وذلك بالطرح المكثف لحقيقة الإسلام والتسليم لله تعالى ولشرعه، حيث إن مثل هذه الطروحات تعد من أقوى ما تواجه به هذه الدعوات الخبيثة. وأخشى ما يخشاه أصحاب هذه الدعوات أن يواجهوا بهذا السيف البتار: سيف التسليم والإسلام لله تعالى، الذي هو ركن التوحيد والعبودية لله ﷻ، قال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

والعجيب أن هؤلاء الذين يتجرأون على شريعة رب السموات والأرض، ويعملون جاهدين على إقصائها، نجدهم يسلمون للأنظمة البشرية الكفرية، التي تحكم بالشريعة الجاهلية في الحكومات العلمانية ويعظمونها، بل يسلمون ويقصدون الأحكام الدولية، التي يسمونها بالشرعية الدولية، والويل كل الويل لمن يخالفها، ولم يستسلم لها!!

الأمر السابع:

بيان أثر التسليم في النفوس، وذلك في تضحياتها بالمال والنفس في سبيل الله ﷻ، وذلك كما ظهر في إسلام إبراهيم عليه السلام بتقديم نفسه للنيران وابنه للقربان، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

الأمر الثامن:

طغيان الحياة المادية والثورة الصناعية وطغيان العلوم التجريبية في حياة الناس، مما كان له الأثر في إضعاف الإيمان بالغيب، وغرور الإنسان بعقله، والتركيز على الأمور المحسوسة، ورد كل ما لا يدرك العقل كيفيته، فكان لا بد من تدارك هذا المرض، ببيان مكانة العقل وحدوده، ودوره في تلقي النصوص، وأثر التسليم في علاج مثل هذه الأمراض.

الأمر التاسع:

تأثر بعض المتسبين للدعوة والعلم بضغوط أهل الشبهات وضغوط الواقع، وأخذهم بالرخص الواهية، وتتبع شذوذات بعض العلماء في ترك العمل بالنصوص الشرعية الصحيحة، بحجة التيسير ورفع المشقة، ولا علاج لمثل هذه الظاهرة إلا بالتذكير بهذا الأصل العظيم، ألا وهو التسليم لأحكام الله ﷻ، وتعظيم نصوص الوحيين، وإن خالفت أهواء الناس.

الأمر العاشر:

كثرة ما يطرحه من يسمون أنفسهم بالعصرانيين أو التنويريين، متأثرين بالمنافقين العلمانيين، بما يسمى بالثابت والمتغير، وما يسمى بتجديد الخطاب الديني، أو ما ينادون به من إعادة لقراءة نصوص الوحيين، حسب متطلبات العصر - زعموا-، حتى أصبح حمى الشريعة ونصوصها حمىً مستباحاً لكل جاهل أو صاحب هوى، وذلك بضعف تعظيم الله ﷻ وتعظيم أخبار الله وأوامره ونواهيه في نفوسهم، فكان لزاماً على المعظمين لنصوص الوحيين أن يقفوا لهؤلاء بالمرصاد، وأن يعظوهم، ويحذروا الناس من باطلهم، وأن يبينوا لهم أن منشأ كل هذه المواقف المريضة، إنما هو من ضعف التسليم لله ﷻ، ولرسوله ﷺ وهوان نصوص الكتاب والسنة في نفوسهم.

الأمر الحادي عشر:

العلم بحدود هذا التسليم وأحكامه، فلا يدخل في التسليم ما ليس منه، فيكون سبباً لإضعاف أصل التسليم، كما هو شأن المنهج الصوفي الذي يلغي العقل، ويقدم الذوق والوجد على النصوص الشرعية، ويدخلون في التسليم ما ليس منه من الخرافات والخزعبلات، التي لم يدل عليها دليل شرعي، ويرفضها العقل الصريح، بحجة التسليم! ومن ذلك العلم بأن من العدل في بيان هذا الأصل العظيم: أن لا ينسب كل خطأ في اجتهاد ما بأنه مخالف لقاعدة التسليم. فالعلم بحقيقة التسليم ما يدخل فيه وما لا يدخل، والعدل والإنصاف مع الناس، هما الميزان الذي يحفظ قوة هذا الأصل، ويحمي من وهنه والاختلاف عليه^(١).

من أجل هذه الأمور وغيرها أكتب هذه الرسالة مستعيناً بالله ﷻ، وأسأله سبحانه الإخلاص، وأن ينفع بها كاتبها وقارئها، إنه سميع مجيب.

وسيكون -إن شاء الله تعالى- تناول مضامين هذه الرسالة من خلال الفصول التالية:

• الفصل الأول: ذكر بعض الآيات والأحاديث والآثار المنبهة على أصل التسليم وتعظيمه وفضله أهله.

(١) انظر كتاب (التسليم للنص الشرعي) د. فهد العجلان (المقدمة) ص ٧-٨.

- الفصل الثاني: شرح معنى الإسلام، وأنه دين الرسل جميعًا.
- الفصل الثالث: أركان التسليم وصفة القلب السليم.
- الفصل الرابع: ذكر بعض الثمار العظيمة للتسليم.
- الفصل الخامس: ذكر بعض الأسباب التي يتوصل بها - بإذن الله تعالى - إلى درجة التسليم والقلب السليم.
- الخاتمة.

